الحمدُ للَّهِ حمدًا كثيرًا طيِّبًا مباركًا فيهِ مباركًا عليْهِ كما يحبُّ ربُّنا ويرضى.

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ–صلى اللهُ وسلمَ وباركَ عليهِ وعلى آلِهِ وصحبِهِ–.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا*يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)، أَمَّا بَعْدُ: فيا إخواني الكرامُ:

إنَّ اللسانَ من نعمِ اللهِ العظيمةِ، ولطائفِ صنعِهِ الغريبةِ، فإنَّه صغيرُ الجسمِ، لكنه عظيمٌ فيما أودعَهُ

اللهُ–تعالى–فيهِ من عجيبِ خلقِهِ، فهو يحتوي على سبعَ عشرةَ عضلةً، تتحركُ عند الأكلِ والحديثِ بحركاتٍ مختلفةٍ عن بعضِها بحركةِ غيرِ إراديةٍ، فعندما يريدُ الإنسانُ أنْ ينطقَ بحرفٍ معينٍ، يتحركُ اللسانُ بحركةٍ خاصةٍ لكلِّ حرفٍ، وعندَ الأكلِ يتحركُ بحركةٍ أخرى مغايرةٍ تناسبُ الحالَ، ويتحركُ اللسانُ في الفمِ بسرعةٍ وانسيابيةٍ عجيبةٍ، فقدْ جعلَ اللهُ ستَّ غُددٍ لُعابيةٍ، تقومُ بإفرازِ اللُّعابِ بقدرِ الحاجةِ أثناءَ الحديثِ والمضغِ، وأودعَ اللهُ في اللُّعابِ موادًا عجيبةً، تساعدُه على القيامِ بدورِه بوجهٍ كاملٍ، ولو تعطلتْ هذه الغددُ ما استطاعَ الإنسانُ أنْ يتكلمَ أو يأكلَ، ولأصبحَ فمُه مصدرًا للأمراضِ، فسبحانَ

من خلقَهُ، وأودعَ فيهِ هذهِ الأسرارَ.

وكما أنَّ اللسانَ عظيمٌ في أسرارِ خلقِهِ، فهو عظيمٌ كذلك في طاعتِهِ وجُرْمِهِ، فلا يتبينُ الكفرُ والإيمانُ إلا بشهادةِ اللسانِ، وهما غايةُ الطاعةِ والعصيانِ، ثمَّ إنَّه ما مِنْ موجودٍ أو معدومٍ، خالقٍ أو مخلوقٍ، مُتَخَيَلٍ أو معلومٍ، مَظْنونٍ أو مَوهومٍ إلَّا واللسانُ يتناولُه ويتعرضُ له بإثباتٍ أو نفيٍ، وكلُّ ما يتناولُه العلمُ يُعْرِبُ عنه اللسانُ إما بحقٍ أو باطلٍ.

فإنَّ العينَ لا تصلُ إلى غيرِ الألوانِ والصورِ، والأذنَ لا تصلُ إلى غيرِ الأصواتِ، واليدَ لا تصلُ إلى غيرِ الأجسامِ، وكذا سائرُ الأعضاءِ، لكنَّ اللسانَ رحبُ الميدانِ، ليس له مَرَدٌ، ولا لمجالِهِ

حدٌ، فله في الخيرِ مجالٌ رحبٌ، وفي الشرِ مجالٌ خصبٌ، فمنْ أطلقَ اللسانَ، وأهملَه مُرخى العِنانِ، سلكَ به الشيطانُ في كلِّ ميدانٍ، وساقَه إلى شفا جُرُفٍ هارٍ، إلى أنْ يَضْطَرَهُ إلى النارِ والبوارِ.

فَقَد قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ–رضي اللهُ عنهُ–: "يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أوَ إِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ وَهَلْ يُكِبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ"، ولا ينجو مِنْ شرِّ اللسانِ إلا منْ قيَّدَهُ بلجامِ الشرعِ، فلا يُطْلِقُه إلا فيما ينفعُه في الدنيا والآخرةِ، ويَكُفُّهُ عنْ كلِّ ما يخشى شرَّهُ في عاجلِهِ وآجلِهِ.

إنَّ خطرَ اللسانِ عظيمٌ، ولا نجاةَ مِنْ خَطَرِهِ إلا

بالصمتِ فقدْ حَثَّ النبيُ ﷺ على الصمتِ ومَدَحَ فاعلَه، فقالَ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ"، وهذا الحديثُ أصلٌ عظيمٌ من أصولِ الأدبِ، فينبغي ألا يتكلمَ المسلمُ إلا إذا كانَ الكلامُ خيرًا، ظاهرَ المصلحةِ، ومتى شكَّ في ظهورِ المصلحةِ فلا يتكلمُ، قالَ سُفْيَانُ الثقفيُّ رضي الله عنه: قلتُ: "يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي بِأَمْرٍ فِي الإِسْلامِ لا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، فَقَالَ: قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ، فقلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ فَأَيَّ شَيْءٍ أَتَّقِي؟ فَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى لِسَانِهِ"، وقالَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ رضي الله عنه: "قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى

خَطِيئَتِكَ"، والمعنى: احفظْ لسانَك وصُنْهُ لعظيمِ خطرِهِ، وكثرةِ ضررِهِ، وقَالَ ﷺ: "إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ–تَذِلُّ وتخضعُ له– فَتَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ فِينَا، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا"، وقَالَ ﷺ: "إِنَّكَ لن تزالَ سالمًا ما سكتَّ، فإذا تكلَّمتَ، كُتِبَ لكَ أو عليكَ"، وَلَقِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَا ذَرٍّ ﷺ فَقَالَ: "يَا أَبَا ذَرٍّ أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى خَصْلَتَيْنِ هُمَا أَخَفُّ عَلَى الظَّهْرِ وَأَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ وَطُولِ الصَّمْتِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا عَمِلَ الْخَلاَئِقُ بِمِثْلِهِمَا".

وقالَ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ ﷺ: "سَأَلْتُ رَسُولَ

اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: الصَّلَاةُ عَلَى مِيقَاتِهَا، قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: بِرُّ الْوَالِدَيْنِ، قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: أَنْ يَسْلَمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِكَ"، وَقَالَ ﷺ: "مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ–لسانَهُ–وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ–فَرْجَهُ–أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ".

إخواني: منْ تأملَّ هذه الأحاديثَ وجدَ فيها:

–أَمْرَ النبيّ ﷺ بالصمتِ، واتقاءِ شرِ اللسانِ، والنهيِ عن إطلاقِهِ، فذلكَ يجمعُ الخيرَ كلّهُ، وَأَنَّ أَثْقَلَ شيءٍ فِي الْمِيزَانِ حُسْنُ الْخُلُقِ وَطُولُ الصَّمْتِ، وأنَّ أفضلَ الأعمالِ سلامةُ الناسِ من شرِ اللسانِ، وأنَّ السلامةَ في السكوتِ، فإذا تكلَّمَ بخيرٍ فلهُ أجرٌ،

وإنْ تكلَّمَ في الخيرِ فعليهِ وِزْرٌ.

وما أصدقَ قولَ الفضيلِ بنِ عياضٍ–رحمه اللهُ تعالى–: "ما حجٌّ ولا رباطٌ ولا جهادٌ أشدَّ مِنْ حبسِ اللسانِ، ولو أصبحت يُهِمُّك لسانُك أصبحتَ في غمٍّ شديدٍ".

أستغفر اللهَ لي ولكم وللمسلمين...

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ كما يحبُ ربُنا ويرضى، أَمَّا بَعْدُ:

فَلِعِظَمِ خطرِ اللسانِ نفى اللهُ الخيرَ عن كثيرٍ مِما يتناجى به الناسُ بينهم، فقال: (لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ).

ولقدْ أدركَ سلفُ الأمةُ خطرَ إطلاقِ اللسانِ بِما يسوءُ، وعلموا فضلَ الصمتِ فكثرتْ أقوالُهم في ذلك: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: "إِنَّ هَذَا–يعني لسانَه– أَوْرَدَنِي الْمَوَارِدَ"، وقالَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ ﷺ: "يا لسانُ، قلْ خيرًا تَغْنَمْ، واسكتْ عن شرٍ تسلمْ، مِنْ قَبْلِ أنْ تَنْدَمَ"، وكتبَ رجلٌ إلى ابنِ عمرَ–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: أنِ اكتبْ إليَّ بالعلمِ كلِّهِ، فكتبَ إليه: "إنَّ العلمَ كثيرٌ، ولكنْ إنِ استطعتَ أنْ تلقى اللهَ خفيفَ الظهرِ مِنْ دماءِ الناسِ، خميصَ البطنِ مِنْ أموالِهم، كافَّ اللسانِ عن أعراضِهم، لازمًا لأمرِ جماعتِهم فافعل"، وقالَ الحسنُ–رحمهُ اللهُ تعالى–: "ما عقلَ– ما فهمَ–دينَه منْ لمْ يحفظْ لسانَه"، وقالَ عمرُ ابنُ

عبدِ العزيزِ –رَحِمه اللهُ تعالى–: "مَنْ عَدَّ كلامَهُ مِنْ عملِهِ، قلَّ كلامُه إلا فيما يَعْنيه".

يا حيُّ يا قيومُ، يا ذا الجلالِ والإكرامِ، نسألكَ بأسمائِك الحُسْنَى، وصفاتِك العُلَى، يا ولي الإسلامِ وأهلِه ثبتْنا والمسلمينَ به حتى نلقاكَ.

اللهم اهدنا والمسلمينَ لأحسنِ الأخلاقِ والأعمالِ، واصرفْ عنا وعنهم سيِئها، اللهم اغفرْ لوالدينا وارحمْهم واجعلْهم في الفردوسِ الأعلى من الجنةِ وإيانا والمسلمينَ، اللهم إنَّا نسألك لنا وللمسلمينَ من كلِّ خيرٍ، ونعوذُ ونعيذُهم بك من كلِّ شرٍ، ونسْأَلُكَ لنا ولهم العفوَ والْعَافِيَةَ في كلِّ شيءٍ، اللهم يا شافي اشفنا واشفِ مرضانا ومرضى

المسلمينَ، اللَّهُمَّ اِكْفِنَا والمسلمينَ بحلالِكَ عن حرامِكَ، وأَغْنِنَا بفضلِكَ عَمَّنْ سِواكَ، اللَّهُمَّ إنَّا نسألُكَ مِنْ فَضْلِكَ ورَحْمَتِكَ فإنَّهُ لا يَمْلِكُها إلا أنتَ، اللهم اجعلنا والمسلمينَ ممن نصرَك فنصرْته، وحفظَك فحفظتْه، اللهُمَّ عليك بأعداءِ الإسلامِ والمسلمينَ والظالمينَ فإنهم لا يعجزونَك، اكفنا واكفِ المسلمين شرَّهم بما شئتَ، اللهُمَّ إنَّا نجعلُكَ في نُحورِهم، ونعوذُ بكَ مِنْ شرورِهم، اللهم إنَّا والمسلمينَ مستضعفونَ فانتصرْ لنا يا قويُ يا عزيزُ.

اللهم أصلحْ وُلاةَ أُمورِنا وأُمورِ المسلمينِ وبطانتَهم، واجعلْ أَمرَهم لِنَصرِ دِينِكَ، ولإعلاءِ كَلمتِكَ، ووفقهمْ لما تحبُ وترضى، وانصرْ جنودَنا

المرابطينَ، ورُدَّهُم سالمينَ غانمينَ.

اللهم صلِ وسلمْ وباركْ على نبيِنا محمدٍ وأنبياءِ اللهِ ورسلِه وآلِهِ وصحبِهِ، والحمدُ للهِ ربِ العالمينَ.